بتاريخ 15 جمادى الاول 1446
التعبدی و التوصلی

الجلسة 31

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين

هجَمات المحقّق الخمينيّ تجاه المحقّق النّائينيّ

لقد أسلفنا مُعتقَد المحقّق النائينيّ باستحالة «اتّخاذ القصد ضمن الأمر» في كافّة الحقول: الجعل و الفعليّة و الامتثال، بحيث قد نَبع الدّور نتيجةَ تفكيره بأنّ «المواضيع هي مفروضة الوجود دوماً» ولكنّ قد عارَضه المحقّق الخمينيّ قائلاً:

«ففيه: أوّلاً: أنّ جعل الأحكام من قبيل القضايا الحقيقية (العائدة إلى القضايا الشّرطيّة) حتّى ما صدر من الشارع بصيغة الإنشاء (فهو) غير صحيح جدّاً، و سيأتي لبّ القول فيها في مبحث العموم و الخصوص، فانتظر.»[1]

فلُباب اعتراضه أنّ الصّيغ الإنشائيّة ـ اِفعل ـ التي تُعدّ قضايا حقيقيّةً أيضاً، لا تَئول إلى القضايا الشّرطيّة ـ كما زعمه المحقّق النّائينيّ ـ ولهذا «أقيموا الصّلاة» لا تَنعَطِف إلى الشرطيّة أبداً إذ سيَغلُط القول: «إذا وجد المصلّي فليُقِمها» فافتراض وجودها سيُنتِج نتاجاً حضيضاً تماماً، ولهذا لا تعود كافّة القضايا إلى الشّرطيّة دوماً، بل هو خطاب انحلاليّ بعدد المكلّفين المتواجِدين، بينما أشباه : «لله على النّاس حجّ البيت من استطاع» و «أقم الصّلاة لدلوک الشّمس» فبإمكانها أن نُشرِبها معنى الشّرطيّة كالتّالي: «إذا وُجد المستطيع فليَحُجّ» و «إذا طلعت الشّمس فأقم الصلاة» و لكنّ الصّيغ الانشائيّة لا تُلبَس معنى الشّرطيّة إطلاقاً.

فبالتّالي قد انهَدمت الضّابطةُ العامّة المُدّعاة من قِبل المحقّق النّائينيّ تماماً ـ مئال الحقيقيّة إلى الشرطيّة ـ.

و نُلاحظ عليه بإيجاز، بأنّ حوارَنا لا يَحور حول حول الصّيغ و أضرابها كي يُعدّ نقضاً تجاه المحقّق النّائينيّ، بل الباحثون يُناقشون «جوهرةَ القضايا» متسائِلين: هل كافّة القضايا الحقيقيّة ـ سواء بالصّيغة أم بغيرها ـ تئول إلى الشّرطيّة حقيقةً ـ وفقاً للفوائد ـ أم لا ـ وفقاً للمحقّق الخوئيّ وغيره ـ؟[2]

ثمّ تَعقّبه الوالد المحقّق الأستاذ أيضاً معترِضاً على المحقّق النائينيّ قائلاً ـ بالفارسيّة ـ:[3]

«مهمترين دليلى كه در ارتباط با استحالهٔ ذاتى اخذ قصد قربت در متعلّق امر ذكر شده، دليلى است كه مرحوم محقق نائينى ذكر كرده و آيت‌اللّه خويى «دام ظلّه» نيز آن را به‌عنوان بهترين دليل دانسته است: خلاصهٔ فرمايش ايشان ـ با توضيحى از جانب ما ـ اين است: نوع قضايايى كه در مقام بيان احكام شرعيه وارد شده، قضاياى حقيقيه است.[4] مثلاً در باب حجّ از روايات استفاده مى‌شود كه: «المستطيع يجب عليه الحجّ»، در اينجا «المستطيع» ناظر به افراد است ولى نه خصوص افرادى كه در زمان صدور حكم، مستطيع باشند بلكه هر انسانى كه در آينده هم وجود پيدا كند و مستطيع شود، اين حكم شامل حال او مى‌شود.

سپس مى‌فرمايد: قضيّهٔ حقيقيّه، رجوع به قضيّهٔ شرطيه مى‌كند، يعنى با اينكه صورتش صورت قضيّهٔ حمليّه است و در قضيّهٔ حمليه، موضوع و محمول و اتحاد و هوهويت مطرح است ولى در باطن، به قضيّهٔ شرطيه برگشت مى‌كند و در قضيّهٔ شرطيه،

مقدّم و تالی مطرح است نه موضوع و محمول. در نتیجه قضیّهٔ «المستطیع یجب علیه الحجّ» به قضیّهٔ «إذا استطعتم یجب علیکم الحجّ» برگشت می‌کند، یعنی «المستطیع» که عنوان موضوع داشت، در اینجا عنوان مقدّم، و «یجب علیه الحجّ» که عنوان محمول داشت، عنوان تالی پیدا می‌کند.

مرحوم نائینی می‌فرماید: اگر قضیّهٔ شرطیه شد، قضیّهٔ شرطیه دارای این خصوصیت است که اگر مولا گفت: «إذا استطعتم یجب علیکم الحجّ» مفاد این قضیّه این نیست که «بر شما لازم است مستطیع شوید تا حجّ بر شما واجب شود» بلکه وجود استطاعت را فرض کرده و فرموده: «اگر شما مستطیع شدید، حجّ بر شما واجب می‌شود ولی به شما نمی‌گویم بروید تحصیل استطاعت کنید اگرچه تحصیل استطاعت، مقدور شما هم باشد»، این قضیّه، از این جهت مانند «إن جاءك زید فأکرمه» است، معنای «إن جاءك زید فأکرمه» این نیست که اگر شما ـ فرضاً ـ بتوانید مقدّمات مجیء زید را فراهم کنید، برایتان لازم باشد فراهم کنید. خیر، معنای این قضیّه این است که وجوب اکرام، برفرض تحقّق مجیء است و تهیّهٔ مقدّمات مجیء ـ به‌طوری که مجیء تحقق پیدا کند ـ بر شما لازم نیست. مرحوم نائینی می‌فرماید: نه تنها در «المستطیع یجب علیه الحجّ» این‌طور است بلکه در آیهٔ شریفهٔ (أوفوا بالعقود) نیز همین‌طور است. این آیه نمی‌گوید: «شما حتماً باید عقدی واقع سازید» بلکه می‌گوید: «اگر عقدی واقع شد وفای به آن واجب است».

سپس می‌فرماید: بنابراین، استطاعت وعقد، با وجود اینکه اختیاری است و مولا می‌توانست مثلاً تحصیل استطاعت را واجب کند و انسان هم می‌تواند آن را ایجاد کند ولی لازم نیست چنین کاری را انجام دهد بلکه اگر موضوع آن وجود پیدا کرد، به دنبال آن، حکم می‌آید. از این بالاتر، اموری است که در اختیار مکلّف نیست و ما به‌هیچ‌وجه نمی‌توانیم آن‌ها را در دایرهٔ تکلیف بیاوریم، مثل بلوغ و عقل که در اختیار مکلّف نیست و مولا نمی‌تواند کسی را که بالغ نیست، امر به بالغ شدن بنماید. و مثل زوال شمس در آیهٔ شریفهٔ «أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلوك الشّمسِ إلی غَسَقِ اللَّیلِ» [5] آیا کسی می‌تواند توهّم کند که ایجاد زوال شمس ـ با اینکه امری غیر اختیاری است ـ داخل در تکلیف مولا شود؟ و یا مسألهٔ عقل نسبت به کسی که عاقل نیست، داخل در دایرهٔ تکلیف مولا قرار گیرد و مولا او را مکلّف به عاقل شدن بنماید؟

مرحوم نائینی سپس می‌فرماید: در ما نحن فیه، که شما قصد قربت را به «قصد الأمر» معنا کردید، بدون تردید، امر کار مولاست و کار مولا در اختیار خود اوست نه در اختیار دیگری. حتی در «إن جاءك زید فأکرمه» اگر بخواهیم بگوییم: مجیء زید، اختیاری است، اختیاری بودن نسبت به خود زید است نه نسبت به عَمرو. مجیء زید، چگونه می‌تواند در اختیار عَمرو قرار گیرد؟ مگر اینکه آوردن زید مطرح باشد نه آمدن او، و بین آوردن و آمدن فرق است. مرحوم نائینی می‌فرماید: مضاف الیه قصد، عبارت از امر است و امر، کاری نیست که در اختیار عبد باشد بلکه مربوط به مولاست. پس وقتی مضاف الیه، خارج از دایرهٔ اختیار مکلّف شد، با اضافهٔ مضاف به آن، قصد الأمر هم یك چیز غیر اختیاری می‌شود و در نتیجه باید وجود آن فرض شود نه اینکه داخل در دایرهٔ تکلیف شده و جزء مکلّف به قرار گیرد. مثل مسألهٔ بلوغ و عقل و زوال شمس است. در مسألهٔ زوال شمس، امکان نداشت که زوال شمس، همانند صلاة، داخل در دایرهٔ تکلیف باشد. در مورد زوال شمس، تعبیر روشنی در روایت وجود دارد. می‌فرماید: «إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الصلاتین» [6] یعنی به صورت قضیّهٔ شرطیه مطرح کرده و زوال شمس را مفروض الوجود دانسته است و به دنبال فرض وجود، مسألهٔ وجوب نماز ظهر و عصر مطرح می‌شود. در قصد الأمر هم همین‌طور است.»

الإشکالیّة الثانیة للمحقّق الخمینیّ تجاه المحقّق النّائینیّ

ثمّ استَورد السّیّد إشکالیّة ثانیة قائلاً:

«فمضافاً إلی منع لزوم أخذ مطلق المتعلقات و متعلقاتها مفروض الوجود (نظیر معتقَد المحقّق الخوئیّ)».[7]

و نُبرِهن مقالته ـ حول هذا الامتناع ـ بأنّا لم نَظفَر بدليل مستَحكم كي يَدّعي المحقّق النّائينيّ بأنّ مطلق متعلّقات المواضيع تُعدّ مفروضة الوجود دوماً.

و وقايةً عن المحقّق النّائينيّ نقول بأنّ «افتراض وجود المواضيع» يُعدّ القضايا الفطريّة التي «قياساتها معها» فببركتها قد استَغنى المحقّق النّائينيّ أن يَستذكر الدّليل، إذ قد بدا مشرِقاً أنّ كافّة المواضيع و قيودها يجب افتراض وجودها بدايةً و إلا لَلغا الجعل و الإنشاء، و لهذا قد صرّح مسبقاً بأنّ «كلّ شرط هو موضوع و كل موضوع هو شرط» ممّا يعني أنّ موضوعات الأحكام ستئول إلى القضايا الشّرطيّة التي قد افترُض وجودها أوّلاً، و على أساسه قد استَنتَج الفوائد لابديّةَ «فرض وجود الموضوع».

و بتدقيق أدقّ: إنّ الخُطّة الرّئيسيّة التي رسَمها المحقّق النّائينيّ هو أنّ «كلّما يُعدّ موضوعاً فقد افتُرض وجوده بتّاً» ـ سواء تقيَّد بقيود متاحة كالاستطاعة و الطّهارة أم غير اختياريّة كالبلوغ و الوقت ـ إذن لم يَقتصِر المحقّق بإرجاع «مفروض الوجود» إلى الشّرطيّة فحسب، بل قد ركَّز على «فرض وجود الموضوع» منذ البداية، و حيث إنّ الصّلاة بقيدها ـ القصد ـ تُعدّ موضوع الأمر فقد افتُرض وجودها مسبقاً ـ فتَولّد الدّور حينئذ ـ إذن فرؤيته أوسع بكثير ممّا زعمه المحقّق الخمينيّ و...

مواجهتُنا للمحقّق النّائينيّ

و عقيب ما وَقينا مقالة المحقّق النّائينيّ عن الإيرادات الماضية، فسنُباشر الآن مُهاجمتَه بأنّه:

ـ أوّلاً: إنّ عنوان «متعلّق المتعلّق» ـ كطهارة الثّوب ـ لا يُساوي عنوان «الموضوع» دوماً، فإنّ «الطّهارة» عديمة الصِّلة بأصل «جعل الصّلاة» فلا يُفترض وجودها حتماً، فإنّ ميزان «الموضوع» هو ألا يَدعو المولى إليه، بينما قد دعا إلى الطّهارة وسائر القيود.

ـ ثانياً: إنّ مسرح الصّراع أجنبيّ عن «رجوع القضيّة الحقيقيّة إلى الشّرطيّة» تماماً، إذ المحور المهمّ في مسألة «الدّور» تحول حول أنّ «كافّة المواضيع يتوجّب افتراض وجودها حتماً»[8] ـ ليس أكثر ـ فهذه النّقطة هي التي قادت المحقّق النّائينيّ أن يَتورَّط في «الدّور» من دون خصوصيّة لمسألة «رجوع الحقيقيّة إلى الشّرطيّة و عدمه» ـ كما زعمه المحقّق النّائينيّ ـ.

الضّربة الثّالثة للمحقّق الخمينيّ تجاه المحقّق النّائينيّ

لقد توصّلنا إلى أهمّ إشكالات السّيّد تجاه الفوائد، حيث قد ابتَدأ قائلاً:

«أنّ ما ذكره قدس سره من أخذ المتعلّقات و قيودها مفروض الوجود ـ فمع ممنوعيّته ـ كاف في رفع الدور و في دفع تقدّم الشيء على نفسه؛ إذ فرض وجود الشيء قبل تحقّقه غير وجوده واقعاً قبل تحقّقه، إذ تحقّق الأوّل بمكان من الإمكان؛ فإنّه لا يحتاج إلاّ إلى فرض فارض و تصوّر متصوّر، و أخذُ الأمر مفروض الوجود فرضاً مطابقاً للواقع، لا يلزم منه التقدّم الممتنع، بل يلزم منه فرض وجوده قبل تحقّقه (فهذا الافتراض عمليّة معقولة تماماً و لهذا يَستدعي تقدّم الشّيئ على نفسه كما زعمه المحقّق النائينيّ)

و يوضح الحال: القيود المأخوذة في متعلّقات الأحكام مع كونها خارجة عن دائرة الاختيار؛ فقوله تعالى: «أَقِمِ اَلصَّلاٰةَ لِدُلُوكِ اَلشَّمْسِ إِلىٰ غَسَقِ اَللَّيْلِ»[9] يحكي عن أنّ الأمر تعلّق بأمر مقيّد بالوقت، و أنّه فرض تحقّق الوقت في محلّه قبل وجوده، و هنا نقول: إذا أمر الآمر بشيء بقصد الآمر فقد أخذ الأمر مفروض الوجود؛ فرضاً مطابقاً للواقع، و لا معنى لمطابقته إلاّ كونه متحقّقاً في محلّه (الخارجيّ).»[10]

و قد رَسم السّيّد ـ ضمن المناهج ـ سُلالةَ هذه الإشكاليّة بسياقة أخرى قائلاً:

« فتحصّل مما ذكرنا: أنّ المحذور:

1. إن كان في عدم تعقّل تصور الشيء قبل وجوده فهو بمكان من الفساد (بل يُعقَل التّصور) ضرورة أن كلّ فعل اختياريّ يكون تصوّره مقدّماً على وجوده.

2. و إن كان (المحذور) في إنشاء الأمر على الوجود المتصوَّر فهو ـ أيضاً ـ كذلك (معقول) لأنّ الصّورة الذهنية بقيودها متقدّمة على الأمر (المُنشَأ) فلا يلزم منه تقدم الشيء على نفسه.

3. و إن كان (المحذور) في فرض وجود الشيئ قبل وجوده، فهو ـ أيضاً ـ بمكان من الإمكان (لأنّه محض افتراض ليس أكثر) فلا محذور من هذه الجهات.»[11]

---

[1] تهذيب الأصول. Vol. 1. ص211 تهران ـ ايران: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخمينى (قدس سره).
[2] و أفيض عليه ملاحظَتين أُخرَتَين أيضاً:
ـ أوّلاً: أساساً لو غيَّرنا «صياغة الأمر» إلى الحمليّة الخبريّة لَصدق معنى الشّرطيّة أيضاً، إذ بؤسعنا أن نُحوّل: «أقيموا الصّلاة» إلى «الصّلاة واجبة» فبالتّالي سيُصبح الثّاني على وزان: «الخمر حرام» حيث قد أقرّ الأعاظم بأنّ الخمر مفروض الوجود، فكذلك الصّلاة، و لهذا لا خَصيصةَ لصيغة الأمر بتاتاً لأنّها قابلة للتّغيير التياماً مع القضيّة الشّرطيّة أيضاً.
ـ ثانياً: يَبدو أنّ صاحب «تهذيب الأصول» قد خَلط ما بين الصّيغ الانشائيّة الفارغة عن القيد ـ نظير أقيموا الصّلاة ـ و بين الصيغ المحتوية للقيد و التي نبحث عنها حاليّاً ـ نظير صلّ بقصد الأمر ـ فإنّا لو أضَفنا القيد إلى الأولى لَتَصحَّح إرجاع الصيغة إلى الجملة الشّرطيّة تماماً، و لهذا إنّ محطّ نزاعنا عبارة عن «صلّ بقصد الأمر» أي «لو أردتَ امتثال أمر المولى فصلّ مع القُربة» فبالتّالي، ليس من الصّواب أن يَمثِّل المستشكِل «بأقيموا الصّلاة» فارغةً عن أيّ قيد، فإنّ الإناطة و الشّرطيّة لا تتحقق في العربيّة بهذا الأسلوب الخاطئ أساساً، إذن فالتّمثيل مشوَّه جذريّاً، فالنّاتج أنّ مقالة المحقّق النّائينيّ مسدّدة تماماً.
[3] فاضل موحدى لنكرانى محمد. اصول فقه شيعه. Vol. 3. ص311–313 قم ـ ايران: مركز فقهى ائمه اطهار (ع).
[4] در منطق قضاياى حملية خبريّه را بر سه قسم تقسيم كرده‌اند: طبيعيه، حقيقيه و خارجيه. قضيّهٔ طبيعيّه: قضيّه‌اى است كه موضوع آن عبارت از ماهيت و طبيعت است و فرد ـ بما هو فرد ـ دخالتى در اين موضوع ندارد، مثل قضيّهٔ «الإنسان حيوان ناطق». قضيّهٔ حقيقيه: قضيه‌اى است كه موضوع آن عبارت از افراد است و دايرهٔ افراد هم توسعه دارد يعنى هم شامل افراد محقّقة الوجود ـ يعنى افرادى كه فعلاً در خارج وجود دارند ـ مى‌شود و هم شامل افراد مقدّرة الوجود ـ يعنى افراد كه وجود ندارند و در آينده وجود پيدا مى‌كنند ـ مى‌شود. قضيّهٔ خارجيّه: قضيه‌اى است كه موضوع آن عبارت از افراد است ولى در محدودهٔ خاص، يعنى افرادى كه بالفعل وجود دارند كه از آنها به افراد محقّقة الوجود تعبير مى‌شود. رجوع شود به: الحاشية على تهذيب المنطق، ص ۵۸ در نتيجه قضيّهٔ حقيقيه، برزخى ميان قضيّهٔ طبيعيّه و قضيّهٔ خارجيّه است. از طرفى به پاى قضيّهٔ طبيعيه نمى‌رسد. چون موضوع را روى افراد برده نه طبيعت و از طرفى مقامش از قضيّهٔ خارجيه بالاتر است زيرا دايره افراد در آن محدود نيست.
[5] ـ الإسراء: ۷۸
[6] ـ وسائل الشيعة، ج ۳ (باب ۴ من أبواب المواقيت، ح ۸).
[7] مناهج الوصول إلى علم الأصول. Vol. 1. ص262 قم ـ ايران: مؤسسه تنظيم و نشر آثار امام خمينى.
و قد صرّح بهذا الامتناع ضمن التّهذيب أيضاً قائلاً: «أنّ ما ذكره قدس سره من أخذ المتعلّقات و قيودها مفروض الوجود ـ فمع ممنوعيّته...» (تهذيب الأصول. Vol. 1. ص211)

[8] بينما «المتعلّق» ـكالصّلاةـ لا يمكن افتراض وجودها نظراً لمعضلة «تحصيل الحاصل» إذ لو افترضنا «الصّلاة» ـمثلاًـ مفروضةَ الوجود خارجاً لانجرَّ إلى «تحصيل الحاصل» إذ المكلّف سيَمتثل الصّلاة الموجودة، و لهذا قد استبانَ لنا أنّ افتراض المتعلّق مفروض الوجود سيُعادِل سقوط التّكليف جذراً لا ثبوته، بينما «الموضوع» المفروض وجوده سيُتاح امتثاله تماماً.

[9] الإسراء (١٧):٧٨.

[10] تهذيب الأصول. Vol. 1. ص211 تهران ـ ايران: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخمينى (قدس سره).

[11] مناهج الوصول إلى علم الأصول. Vol. 1. ص262 قم ـ ايران: مؤسسه تنظيم و نشر آثار امام خمينى.